إلا أن أهل الجفاء وقوّةِ الفصاحة يتناكرون خلاف اللغة تناكُرهم زَيْغ الإعراب ألا ترى أن أبا مهدية سمع رجلا من العجم يقول لصاحبه زوذ فسأل أبو مهدّية عنها فقيل له : يقول له : آءَجلْ فقال أبو مهدية : فهلاّ قال له : حيّهلك . فقيل له : ما كان ا ليجمع لهم إلى العجمية العربية . وحدّثنِي المتنبي أنه حضرته جماعة من العرب منصَرفهُ من مصر وأحدهم يصف بلدة واسعة فقال في كلامه : تحير فيها العيون قال : وآخر من الجماعة يَحِى إليه سراً ويقول له : تحار تحار . والحكايات في هذا المعنى كثيرة منبسطة .

ومن بعد فأقوى القياسين أن يُقبل ممن شُهِرت فصاحته ما يورده ويحمل أمره على ما عرف من حاله لا على ما عسى أن يكون من غيره . وذلك كقبول القاضي شهادة من ظهرت عدالته وإن كان يجوز أن يكون الأمر عند ا بخلاف ما شهد به ألا تراه يُمضى الشهادة ويقطع بها وإن لم يقع العلمُ بصحّتِها لأنه لم يؤخذ بالعمل بما عند ا إنما أُمر بحمل الأمور على ما تبدو وإن كان في المُغَيّب غيره . فإن لم تأخذ بها دخل عليك الشكّ في لغة من تستفصحه ولا تنكر شيئا من لغته مخافة أن يكون فيها بعض